

رسائل ثقافية

سوريا : من ياسين رفاعية

جميع المترلفين للجنة الشعر في المجلس الاعلى ، اما الذين دافعوا عن اتجاه الشعر الحديث فهم قلائل جداً ، قلائل الى حد انهم لم يتجاوز عددهم اصابع اليد الواحدة .

في الشعر القديم ، او الذي حافظ على الشكل القديم ، لم يبرز سوى ثلاثة او اربعة من بين الثلاثين شاعراً . كان عبد الحق حداد وكان عبد الرحيم الحصني وكانت عزيزة هارون وكان حامد حسن . اما الآخرون فقد سطوا على غيرهم ، وكان ضحايام بدوي الجبل وايليا ابو ماضي وعمر ابو ريشة وسعيد عقل وزار قباني .

والقصيدة الحديثة الوحيدة التي القيت كانت للشاعر خليل خوري . وعندما وقف قبل القاء القصيدة قال انه الوحيد النغم النشاز في هذه السيمفونية الشعرية التي تتردد الحانها في مدرج جامعة حلب ، لكنه يتحدى ان لا تكون قصيدته الحديثة اكثر عمقا مما قيل في شعر الآخرين . وتحدى المجلس الاعلى اذا كان يستطيع ان يوجه له الدعوة لحضور المهرجان الخامس في العام القادم .

والقى الشاعر قصيدته ، لكن القلائل جداً صفقوا من بين الالفين الذي امتلأ بهم المدرج . لماذا ؟ هؤلاء جاؤوا يستمعون الى البرنامج الفني الذي الصق في المهرجان والذي صار يقدم بعد الانتهاء من قصائد الشعراء ، جاؤوا يستمعون الى مطربات الكباريات والملاهي . ولذلك رضوا ان يضحوا بالاستماع الى القصائد ومشاهدة الشعراء وهم

اقم مهرجان الشعر الرابع في حلب من ١ تشرين الثاني (نوفمبر) الى الخامس منه ، فقسم الى جزئين: الايام الثلاثة الاولى المهرجان واليومان الاخيران بمناسبة ذكرى الشاعر الحمداني ابي فراس . ورعى المهرجان رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة ، وانا ب عنه وزير التربية والتعليم الذيلقى ايضاً كلمة رئيس المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية الذي كان متغيباً في الجزائر . وكانت كلمة السيد الوزير رسمية بطبيعة الحال، وعندما تقال الكلمة على المستوى الرسمي فان كثيراً من التوريات تختفي وراءها . ولا يفهم عادة في مثل هذه الكلمات الا ان كل ما يطلبه الشعب سوف يحقق - «سوف» ، دائماً !

ثم كانت كلمة امين سر المجلس الاعلى ، فحياء الشعراء والحضور واكد ان المجلس الاعلى مستمر في اداء رسالته وفي خلق حركة ادبية تسير التطور الخلاق في العالم بأسره !

وقالت الكلمات الى ان القى مقرر لجنة الشعر كلمة ، فوجئت بها . فهو عندما يحدثننا في العادة لم يكن يحدثننا عن الشعر كما فعل ذلك اليوم . تحدث عن الشعر القديم والشعر الحديث ، فاكد بحركات تمثيلية ان الشعر الحديث هو محاولة لاجهاض الفكر، محاولة لخلق تيار غير عربي ! ثم قال بلهجة بوليسية. اننا لن نسمح بعد اليوم بمثل هذا اللغو من الكلام ! وهنا ابتدأت معركة الشعر التي استمرت طوال ايام المهرجان الحثمة . وكان انصار الشعر القديم

الشعر الحديث وشعراء حديثين . اكثر الذين ينظمون على الطريقة القديمة يعيشون على السطح يقتاتون بالكلمات الجاهزة المهيثة ، لكن الشاعر الحديث هو في التحام مضن رهيب مع قوى هائلة تعمل متضافرة على سحقه وازالة كل معالم الحضارة التي بناها لبنة فوق لبنة على مر الاجيال والاعوام . الضياع والقلق والغربة والخوف والفرع اقانيم تحيط بانسان هذا العصر وتضييق الخناق عليه ، وترسم في عينيه صورة قاتمة للمستقبل الموحش الغريب الذي تصوره لنا الآلة اليوم على انه دوامة جحيم وان الانسانية مقدمة على الانتحار وانها لتحفر قبرها بيدها ؛ فالعلم قد سخر من اجل الهدم لا من اجل البناء فحسب ، والفكر قد سخر من اجل الكراهية والبغضاء لا من اجل المحبة والتسامح فحسب . ولعل التسابق على اختراع الاسلحة الرهيبة هو خير مثال على اندحار القيم الخلقية والروحية والفكرية نحو الحضيض وفقدان الايمان بصفاء الانسان .

والشاعر الحديث عين الانسانية المنفتحة على الواقع المرير الذي وصلت اليه مرغمة . والشعر الحديث اليوم هو الناقوس الحزين الذي يحسد مأسة الانسان العميقة في هذا القرن . ومن اجل التعبير عن حقيقة الشاعر التي تحملها الانسانية في اعماقها كان لا بد للشعر ان ينطلق ويتحرر من القيود التي كانت تلزمه ان يكون في قالب معين .

ولقد تجارب شعر اليوم مع انسان اليوم ، وعبر الشاعر تعبيراً صادقاً خلاصاً عن افكار هذا العصر . وهذا يكفي ؛ ليس مهماً ان يتقيد الشاعر بعمود الشعر حتى نحكم عليه بأنه شاعر حقيقي (وشعراء مهرجان الشعر الرابع في حلب خير مثال على ذلك) : المهم ان يكتب شعراً — والشعر في قوالبه الجديدة لم يعدم ابداً اهميته وابداعه وابتكاره ..

وهنا اريد ان اؤكد — ويؤسفني هذا التأكيد — ان مهرجان الشعر الرابع كان فاشلاً كل الفشل . فلا هو استطاع ان يقدم شعراء ينظمون في القالب

يلقونها ، قبل الانتقال الى برنامجهم الرئيسي والاستماع الى « اصل الغرام نظرة » و « اكلك منين يا بطة » و « يا كركدن لا تحسبن » و « عالمصفورية » ، ومشاهدة هذه الراقصة او تلك وهي تغمز بعينها كما لو انها في احط ملهى او كباريه .

في مهرجان كهذا للشعر ، هل من عجب انه لم يصفق للشعر الحديث ؟ وقد تشجع احدهم وهو غض صغير القى قصيدته بعد خليل خوري مباشرة ، فشم الشعر الحديث ومن يكتب الشعر الحديث بكلمات سوقية بذئثة بما اثار اشتزاز حتى الذين جاؤوا يستمعون الى مطربات المهرجان . وعندما انتهى من كلمته الحاقدة القى قصيدة على طريقة العمود القديم ، ولكن اكثر ابياتها جاءت مكسورة محطمة ؛ وعندما سألت احد اعضاء لجنة الشعر عن ذلك ، قال : ان هذه القصيدة لم تقدم لهم ! يقول الشاعر الفرنسي سان جون بيرس : « ان الشعر ليس عملية كلمة ، بل انه ليس عملية جمالية فقط ، كما انه ليس عملية زخرف وتزيين . وليس هو بفعل طرب وغناء . كما ان الجمال ليس غاية الشعر ، وان كان الشعر ريفيقي طريق . بالشعر هو لوب ، وهو قدرة ، وهو تجديد دائم . يحظه من الدنيا حظ نفسه وليس حظ سواه . لذا فانه يوازي الحياة ، بل يذهب ابعد منها ، بل يتفوق عليها » .

تذكرت هذا الكلام وانا اسمع هذا الرصف المنظم من الكلمات في مهرجان الشعر الرابع . تذكرت هذا الكلام وانا اشاهد هؤلاء الشعراء يتسولون التصفيق من اكف الصفوف الخلفية . تذكرت هذا الكلام وانا ارى هؤلاء الذين انتفخوا وراء الميكروفونات واصلحوا من ربطات عنقهم امام مصوري التلفزيون والسينما وتمايلوا كراقصي التويست امام السيدات والاولاد . تذكرت كلام بيرس كله وانا اشاهد هذه الصور المزيفة واستمع الى هذه القصائد المشوهة المسروقة والملطوشة من شعراء آخرين . تذكرت ، فحمدت الله على وجود

ما ، لافي حديقة كبيرة وساحة واسعة .

الموسم الثقافي الجديد يبشر بخير عيم في سوريا .
فان ثمة مجلات ادبية اخرى سوف تصدر بالاضافة
الى المجلة الجديدة « الموقف العربي » التي يتولى فيها
رئاسة التحرير حسام الخطيب وسكرتارية التحرير
ذكريا ثامر . كما ان معرض الحريف الذي اقيم خلال
تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي قد قدم مواهب
جديدة ولوحات فيها تجديد كبير ، عدا عن
المحاضرات والندوات التي اخذت تقام في اكثر
الاندية . كما ان البرنامج الثاني الذي راح يبت من
اذاعة دمشق قد اكتسب لنفسه عدداً كبيراً من
الجمهور المثقف لما يقدمه من مسرحيات مترجمة
ونقد وقصائد وبحاث وتحليل للسيمفونيات
العالمية .

القديم ويبدعون في هذا النظم ، ولا هو اتاح المجال
للشعر الحديث . ولولا ان خليل خوري تمرد وتحدى
ليكون الشاعر الوحيد الذي القى شعراً حديثاً
لخيل لي ان التضييق الشديد الذي غرضته لجنة
الشعر هو السبب في احجام الكثيرين عن اللقاء
قصائد حديثة .

وكان لا بد في هذه الكلمة المعجل من المرور
على ذكرى ابي فراس ، الذي ازيع الستار عن تمثاله
الذي قدمه المجلس الاعلى هدية الى مدينة حلب
وصنعه المثل جاك وردة . فهاذا كان هذا التمثال ؟
كان تمثالا مسكيناً لا يعبر عن حقيقة ابي فراس .
فأبو فراس مات في سن السابعة والثلاثين ، ولكنه
في التمثال يبدو حياً في سن الستين . والتمثال صغير
الى حد يصلح لان تكون قاعدته في صالون منزل

الجزائر : من شرّيا انطونيوس

انه منطقة محرومة على المدنيين وتقوم معاً بحراستها
القوات الجزائرية والقوات الفرنسية (التي ما زال
منها حوالي ستين الفا في البلاد) .

وقد فتحت معظم الدكاكين في الشوارع الرئيسية
ابوابها من جديد ، وبعضها مليء بشكل يدل على
رخاء وسط التقشف الذي يحيط بها . اما السلمة
التي تباع اكثر من سواها في هذه الدكاكين فهي
الكتب : فمكتبات البلدة تعرض بزهو مؤلفات
جميع كتاب الجزائر ، امثال مولود فرعون وكاتب
ياسين وجان عمروش وآسيا جبار ، كما تعرض كل
كتاب تقريباً ألف عن الجزائر قط . وتجده كتاب
« العام الخامس للثورة الجزائرية » معروضاً في
الواجهات بشكل خاص ، كما تجد بعض المؤلفات

اول ما يسترعي النظر والدهشة في مدينة
الجزائر هو طابعها غير العربي : فهي بلدة بيضاء
متراسة هندست مبانيها بشكل متين غريب هو من
بقايا عهد الاستعمار ، وهي توحى بانها بلد تجاري
وفردوس لشركات التأمين اكثر مما توحى بانها (كما
هي في الواقع) مقر اوعى وانجح قوة ثورية في
افريقيا .

وقد اكتسبت هذه البلدة اسم الجزائر البيضاء
من طائفة من الجزائر الصغيرة التي كانت تحيط في
وقت مضى بالميناء وارتبطت معاً في الوقت الحاضر
لتشكل رصيف الميناء الطويل الذي يقوم عليه
مبنى الاميرالية . وينصح الدليل السياحي زوار
المدينة بان يبدأوا جولاتهم فيها بهذا الرصيف ، غير